

خطبة بعنوان:

((بعض مشاهد يوم القيامة وأهواله))

✍️ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}{آل عمران:102}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}{النساء:1}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

قَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: (إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين)

فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: {قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: 26]

وقال تعالى: {وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج: 7]

وقال تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: 9]

هذه الآيات تخبر بوقوع يوم القيامة الذي لا شك فيه ولا ريب، وأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد حفاة عراة غرلا، ويناديهم الجبار سبحانه وتعالى وينزل لفصل القضاء بينهم، فيحشرون ويعرضون على ربهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء وتدنو الشمس من رؤوسهم مقدار ميل، فيعرقون حتى يذهب العرق في الأرض سبعين ذراعا.

إنه اليوم الذي تشقق فيه السماوات وتتحطم فيه الجبال وتندك الأرض والجبال فتصير قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتسجر فيه البحار {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا} [المعارج:8-10]

حينها يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

ومن شدة الأهوال ذلك اليوم ,تذهل المرضعات عن أولادهما , وتضع الحوامل أجنتها , ويشيب الولدان , وترى الناس سكارى وما هم بسكارى , قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ} [الحج:1-2]

وقال تعالى: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مَنقُطَرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا} [الزمر:17-18]

وفي هذا اليوم تنتهي المودة وتنقطع الأنساب فلا ينفع الوالد ولده ولا يحمل الولد ذنب أبيه قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [لقمان:33]

ولهذا حثنا الله على الاستعداد لهذا اليوم بالاستجابة لأمره , فقال سبحانه: {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدٍّ

لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ

تَكِينٍ} [الشورى: 47]

{يَقُولُ إِلَّا نَسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ* إِلَى رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة: 10-12]

والكلام يطول عن أهوال يوم القيامة ولكن نذكر في هذا المقام بعض أحوال السماوات والأرض وما بينهما وما يحصل لهما يوم القيامة ونذكر بعض أحوال الناس والمواقف التي يمرون بها يوم القيامة، لعلنا نتعض ونعتبر، ونستعد ونزجر، فمن لم تؤثر فيه هذه المواعظ فقد خاب وخسر.

- فأما أحوال السماوات والأرض يوم القيامة فكما أخبر ربنا في كتابه الكريم {يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: 48] وتغيير السماوات والأرض يكون بتغيير صفاتها وأحوالهما فتتشق السماوات وتتغير ألوانها وتتساقط نجومها وتنكدر كواكبها وتندك الأرض وتتفتت جبالها وتسجر بحارها .

قال المفسران كثير رحمه الله: وهي هذه السماوات والأرض على غير الصفة المعروفة المألوفة. اهـ.

وقال المفسر السعدي رحمه الله: وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى وتمد كمد الأديم

ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم يطويها الله -تعالى- بيمينه. اهـ.

قال تعالى: { وَالْأَرْضُ رَاضٍ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } [الزمر: 67]

وروى الإمام مسلم عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: سألت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم: 48] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ» وفي رواية: «هُمْ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»

وتكون السماوات والأرض والجبال والشجر والماء والثرى على أصابع الرحمن سبحانه وتعالى فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ رَاضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَالْخَلَاءَ يُقَى عَلَى إصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَا الْمَلِكُ أَتَا الْمَلِكُ، «فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ تَوَاجِدُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67]

- فأما السماوات فتتفطر وتتشقق وتتغير ألوانها وتدور وتضطرب بلا سكون.

قال تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأُذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق: 1-2]

وقال تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انقَطَرَتْ} [الانفطار: 1] أي: تشققت.

وقال تعالى: {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} [الرحمن: 37] أي: كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه.

وقال تعالى: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} [المعارج: 8] أي: كـ الرصاص المذاب .

قال البغوي أي: كعكر الزيت , وقال الحسن: كالفضة إذا أذيت اهـ..

وقال تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور: 9]

قال السعدي: أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكونها-

- وأما النجوم والكواكب فتتساقط وتنتثر وتتهاوى وتنكدر ويذهب ضوءها, قال تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: 1] أي

ترمى في جهنم {وَإِذَا الثُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير:2] أي تتساقط .
وقال تعالى: {وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الانفطار:2] أي تساقطت.

- وأما الجبال فتصير كالصوف الممزق فينسفها ربي نسفا,
فتكون هباء منبثا, وتسير في السماء سيرا, وتتطاير ك
الشررتطايرا.

قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ
السَّحَابِ} [النمل:88]

قال ابن كثير: أي تزول عن أماكنها. اهـ. وهذا يوم القيامة بدليل
سياق الآيات وأدلة أخرى.

وقال تعالى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} [المعارج:9]

وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا *
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا
أَمْتًا} [طه:105-107]

وقال تعالى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ
الْجِبَالُ سَيْرًا} [الطور:9-10]

وقال تعالى: {وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} [التكوير:3].

- وأما الأرض فإنها يوم القيامة تتزلزل وتهتز وتضطرب وتندك

دكا .قال تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ رِضًا تُثْقَلُهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا } [الزلزلة: 1-5]

وقال تعالى: {كَلَّا * إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَتَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ } [الفجر: 21-23]

وقال تعالى: { وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } [الحاقة: 14-15]

وقال تعالى: {إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا } [الواقعة: 4-6]

هذه هي أحوال الأرض يوم القيامة .

- وأما البحار فإنها تفجر وتحترق وقيل يفيض بعضها على بعض فتصير البحار كلها بحرا واحدا وقال ابن عباس: " وإذا البحار سجرت "أي: أوقدت فصارت نارا تضطرم. اهـ.

وهذه هي أحوال الجبال فإذا كانت هذه هي أحوال السماوات والأرض والجبال! فيا ليت شعري كيف سيكون حال الإنسان الضعيف؟

قال المفسر السعدي رحمه الله: " فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد

أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟

أليس حقيقاً أن ينخلع قلبه وينزعج لبّه، ويذهل عن كل أحد؟
ولهذا قال: {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً}. اهـ.

- فأما الخلق فإن الله سبحانه وتعالى يحشر الأولين والآخرين،
والجن والأنس، حافية أقدامهم، عارية أجسادهم، غرلاً بهما
ليس معهم شيء، على صعيد واحد، شاخصة أبصارهم إلى
السماء، ينتظرون فصل القضاء كأنهم الفراش المنتشر قال
تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْقُوشِ} [القارعة: 4-5]

وتدنو الشمس من رؤوسهم مقدار ميل، فيعرقون، ويذهب
العرق في الأرض سبعين ذراعاً.

فقد روى الإمام مسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه،
قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:
«تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ
كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: قَوْلَ اللَّهِ - مَا أُذْرِي مَا يَعْنِي
بِالْمِيلِ؟ أَمْسَاقَةُ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تَكْتَحِلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ:
«فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ
إِلَى كَعْبِيئِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى
حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا، وَإِثَهُ لِيَبْلُغَ إِلَى أَقْوَاسِ النَّاسِ، أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ»

فأما المؤمنون فيهبون الله عليهم ذلك اليوم، فيظل من يشاء في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ويهبون عليهم ذلك اليوم كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب ويجلسون على كراسي من نور ويظلل عليهم الغمام ويكون ذلك اليوم أقصر عليهم من ساعة من النهار .

فقد روى أبو يعلى وابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ يَهْوَنُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَتَدَلِّي الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ))

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: أَيْنَ فَقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمَسَاكِينُهَا؟ فَيَقُومُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا عَمِلْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ابْتَلَيْتَنَا فُصْبَرْنَا، وَوَلَّيْتَ الْأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ غَيْرَتَا. فَيَقُولُ اللَّهُ: جَلَّ ذِكْرُهُ: صَدَقْتُمْ. فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ بِزَمَانٍ، وَتَبْقَى شِدَّةُ الْحِسَابِ عَلَى ذَوِي الْأَمْوَالِ وَالسُّلْطَانِ». قالوا: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: «تُوضَعُ لَهُمْ كُرَاسِي مِنْ ثَوَرٍ، مُظْلَلٌ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ، يَكُونُ ذَلِكَ

الْيَوْمِ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ تَهَارٍ .

- وأما الكافرون فإنهم يحشرون أمثال الذر تعلوهم الذلة و الصغار ويحشرون على وجوههم عميا وبكما وصما , قد ازرقّت أجسادهم واسودت وجوههم يساقون إلى جهنم عطاشا قال تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} [طه:102]

قال السعدي: والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف و القلق والعطش. اهـ.

وقال تعالى: {وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا} [مريم:86] قال ابن كثير: أي عطاشا.

وقال تعالى: {وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء:97] وروى البخاري ومسلم عن أئس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلا قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» قال قتادة: بلى وعزة ربنا وروى النسائي والترمذي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ"

يَغْشَاهُمْ الدَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ
يُسَمَّى بُؤْلَسَ تَغْلُوهُمْ تَارُ الْأَ تِيَارِ يُسْقُونَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ
طِينَةَ الْخَبَالِ". أي: ما يخرج من أجساد أهل النار والعياذ ب
الله.

ثم يبرز الناس للحساب قال سبحانه وتعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ} [غافر: 17]

فأما المؤمن فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الكافر فيحاسب حساباً
عسيراً، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ
يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا *
إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ
كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الانشقاق: 7-15]

ثم يعرض الله على المؤمن حسابه فيقرره به فيغفر له وأما
الكافر فيناقش على الصغير والكبير والنقيير والقطمير فقد روى
البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلْكَ»
قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا
يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] قَالَ: «ذَاكَ الْعَرَضُ يُغَرَضُونَ وَمَنْ ثَوَّقَشَ
الْحِسَابَ هَلْكَ» أي من استقصي عليه عُدِّبَ .

وبعد أن يعرض الله على المؤمن حسابه يغفرله لما روى البخاري
ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " يُدْتَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى
يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرَّرُهُ بِذُتْوِيهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ،
يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفَرُهَا
لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطَوَّى صَحِيفَةٌ حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا الْآ
خَرُونَ، أَوِ الْكُفَّارُ فَيُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ "

ومعنى: (يضع عليه كنفه) أي: يستره فلا يفضحه.

وأما الكافر فيتمنى لو كان له ملء الأرض ذهباً ليفتدي من
عذاب يومئذ، بل ويتمنى أن يفتدي من عذاب يوم القيامة
بأهله وأولاده وقبيلته وعشيرته وجميع من في الأرض لينجو
بنفسه ولا مغيث.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا ثَقِيلَ مِنْهُمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 36]

وقال تعالى: {يُبْصِرُوتُهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَقَصِيْلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى * تَزَاوَعَةٌ لِلشَّوَى *
تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى} [المعارج: 11-18]

وروى البخاري ومسلم عن أُتْسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِْلَاءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَقْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سَأَلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ " وفي رواية: قَالَ: " فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تَشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ "

وفي هذا اليوم يحاسب الناس أجمعون، فيقتص من الظالم للمظلوم وترد الحقوق إلى أهلها حتى يقضى بين البهائم فيقاد للبهيمة الجلحاء التي لا قرون لها من البهيمة القرناء التي نطحتها.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»

فلا يظن الظالم أن الله يقتص للشاءة المظلومة من الظالمة وهي غير مكلفة وينساه، فهذا لا تقتضيه حكمة الله سبحانه وتعالى فمن باب أولى أنه يقتص للمظلوم من الظالم من بني آدم لا سيما في الدماء لعظم أمرها وكثير خطرها فإنها أول ما يقضى فيها يوم القيامة فقد روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ».

وفي هذا اليوم يشتد الحساب على الأغنياء ويخفف على
الفقراء ويدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام فيؤخر الأ
غنياء للحساب، لما روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه،
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ
الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفَ يَوْمٍ".

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجتمعون يوم القيامة فيقال
أين فقراء هذه الأمة قال فيقال لهم ماذا عملتم فيقولون ربنا
ابتلينا فصبرنا ووليت الأموال والسلطان غيرنا فيقول الله جل
وعلا صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل الناس ويبقى شدة
الحساب على ذوي الأموال والسلطان" الحديث

وفي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةٌ مَنِ
دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ» أي: أصحاب الحظ
من الأموال والسلطان. فإن كانت هذه الأموال حلا
لا فحساب، وإن كانت حراما فعقاب، فإنهم يحاسبون من أين
اكتسبوها وفيما أنفقوها، لما روى الترمذي عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأ
سَلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُسْأَلُ عَنْ عُمْرِهِ
وَسَلَمِهِ: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ
فِيمَا أَقْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ"

وَفِيمَ أَتَقَقَّهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أُزْلَا هـ.

اللَّهُمَّ حَاسِبْنَا حَسَابًا يَسِيرًا وَاسْتَرْعِلِينَا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ
كُنْتَ بِنَا رَحِيمًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على خير خلقه الذين اصطفى

محمد وعلى آله وصحبه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

- فمن مواقف يوم القيامة الشديدة على الناس تطاير الصحف قال تعالى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير:10] فإن الناس يبقون في خوف وهلع حتى يؤتون كتبهم، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتاب بشماله، فمن أعطي كتابه بيمينه طار فرحاً وأيقن بالنجاة، ومن أعطي كتابه بشماله خاب وخسر وأيقن بالهلاك، فيتمنى الموت ولا موت .

قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أُسْلِفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهْ * يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أُغْنِي عَنِّي مَالِيَهْ * هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خَذُوهُ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فُلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ { . [الحاقة 19-37].

وقال تعالى: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة 8-9]

فأما أصحاب الميمنة هم أهل الجنة الذين يعطون كتبهم
بإيمانهم وأما أصحاب المشأمة فهم أصحاب النار الذين يعطون
كتبهم بشمائلهم.

وقال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 13-14] طائره، أي: عمله قاله قتادة
رحمه الله.

وقال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
أَحَدًا} [الكهف: 49]

- ومن المواقف الشديدة التي يمر عليها الناس وهي الموازين ق
ال تعالى: {وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47]

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
يَرَهُ} [الزلزلة: 7-8]

وقد أعد الله ميزانا عظيما يوزن به الأعمال والرجال و
الصحائف لو وزنت به السماوات والأرض لوسعها.

فقد روى الحاكم عن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يوضع الميزان يوم القيامة ؛ فلو وزن فيه السموات والأرض لو سعت فتقول الملائكة : يا رب ! لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقي . فتقول الملا ئكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك".

والناس عند الميزان على قسمين مؤمن وكافر، فأما الكافر فلا يقام له وزن يوم القيامة، فلا يوزن وزن مقابلة الحسنات لأنه لا حسنات له قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا ثَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا} [الكهف:105]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إته ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة".

وأما المؤمنين فتثقل موازينهم على حسب إيمانهم وأعمالهم، وكل بحسبه، فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن ساقى ابن مسعود رضي الله عنه في الميزان مثل جبل أحد .

فقد روى الإمام أحمد عن زر بن حبیش عن بن مسعود رضي الله عنه : أنه كان يجتنى سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مم تضحكون؟" قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه فقال : "والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد"

فأما المؤمنون عند الميزان فأقسام ثلاثة:

قسم زادت حسناتهم على سيئاتهم فهؤلاء يدخلون الجنة بلا عذاب.

وقسم زادت سيئاتهم على حسناتهم وهؤلاء تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم عذاب تمحيص ثم يكون مآلهم إلى الجنة.

وقسم استوت حسناتهم مع سيئاتهم وهؤلاء هم أصحاب الأعراف فيحبسون في جبل الأعراف بين الجنة والنار ثم يكون مآلهم إلى الجنة كما ذكر الله حالهم في سورة الأعراف.

قال تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَغْرَقُونَ كَلَّا بِسِيمَاهُمْ وَتَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَتَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَغْرَقُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } [الأعراف : 46 - 49]

قال ابن كثير عن ابن عباس: يعني أصحاب الأعراف { ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } [الأعراف: 49] - ثم يكون آخر المواقف التي يمر بها الناس يوم القيامة هو

المرور على الصراط قال تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * } [مريم: 71-72]

والورود هنا هو المرور على الصراط كما ذكره أكثر المفسرين، فيمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كالبرق، وكالريح، وكلمح الطرف، وكأجاويد الخيل، وكشد الرجال، ومنهم الساعي، والماشي مشيًا، والزاحف زحفا، والمخدوش، والمكردس في جهنم، وتنطفئ أنوار المنافقين.

وصفة الصراط كحد السيف وأدق من الشعرة وتحتة كلاليب تخطف من شاء الله أن تخطفه .

فقد روى الإمام مسلم عن حذيفة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فَيَمُرُّ أُولَئِكَمُ كَالْبَرْقِ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَتَبْيِئُكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَفْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحَقًا"، قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ تَاجٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَقَسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيقًا "

فإذا نجى الله من شاء الله نجاته من المؤمنين يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ثم يدخلون الجنة على قلب رجل واحد قد نزع الله ما في قلوبهم من غل إخوانا على سرر متقابلين.

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا ثَقُّوا وَهَدَّبُوا، أُنْزِلَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ" الحديث

اللهم هون علينا أهوال يوم القيامة وسكننا الجنة ونجنا من النار

اللهم ثبت أقدامنا يوم تزل الأقدام

اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

اللهم آتنا كتبنا بأيماننا وثقل موازيننا وثبتنا على الصراط.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.